

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[639] قلوب مجموعة من اليهود! والذي نعرفه هو أن هذه القسوة ما هي إلا نتيجة لإرتكاب الذنوب والإِـنحرافات، فكيف إـذن ينسب الله فعل جعل القسوة في قلوب أولئك اليهود إـلى نفسه؟ ولو كان هذا الفعل من الله، فكيف يكون أولئك الأشخاص مسؤولين عن أعمالهم، ألا يعتبر هذا نوعاً من الجبر؟ ولدى الإِـمعان بدقة في الآيات القرآنية المختلفة، ومنها الآية موضوع البحث، يتبيّن لنا أن الأشخاص إـنما يحرمون – بسبب اخطائهم وذنوبهم – من لطف الله ورحمته وهدايته، وأن أعمالهم هذه في الحقيقة مصدر لمجموعة من الإِـنحرافات الفكرية والأخلاقية، بحيث يستحيل على الإنسان – أحياناً – أن يجنب نفسه عواقبها ونتائجها. وبما أن العلل – أو الأسباب – تعطي آثارها بإِـذن الله، لذلك نسب مثل هذه الآثار في القرآن الكريم إـلى الله، ففي الآية موضوع البحث نقرأ أن اليهود – نتيجة لنقضهم الميثاق – (جعل الله قلوبهم قاسية)، كما نقرأ في الآية (27) من سورة إبراهيم قوله تعالى (ويضل الله الظالمين) وفي الآية (77) من سورة التوبة نقرأ قوله سبحانه: (فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم إـلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون). وواضح أن هذه الآثار السيئة تنبع من عمل الإنسان نفسه، ولا تناقض في هذا الأمر حرية الإرادة والإِـختيار، لأنّ مقدمات تلك الآثار تكون من عمل الإنسان وتصدر عنه بعلمه واختياره، ولأنّ آثار عمله هي النتيجة الحتمية للعمل نفسه، وعلى سبيل المثال لو أن إنساناً تناول شيئاً من المشروبات الكحولية، وحصلت لديه حالة من السكر، فقام على أثر هذه الحالة بارتكاب جريمة معينة، فهو وإن كان لا يمتلك إـرادته في حالة السكر، إلاّ أنّّه قبل ذلك أقدم على شرب الخمر مختاراً ومدرِكاً لما يفعل، وبذلك هيّأ بنفسه مقدمات العمل الجنائي، وهو يعمل احتمال صدور هذا العمل منه في حالة السكر، ولذلك فهو مسؤول عن هذا